مخالب الأنثى

سعيد محمد الحمادي

قصص

مخالب الأنثى

سعيد محمد الحمادي

قصص

رقم الإيداع :

(٩٦) لسنة ٢٠٠٧م

دار الكتب - صنعاء

المحتويات

١	الرصيف	٥
٢	الصخرة	٩
٣	الخالة	١٥
٤	كوب شاي	٢٥
٥	الحمار السوداء	٣٣
٦	في الفضاء	٤١
٧	النقاب	٤٧
٨	المياه الزرقاء	٥٧
٩	النسيان	٦٩
١٠	الحيرة	٧٧
١١	مخالب الأنثى	٨١
١٢	رشفة ماء	٨٧

الرصيـف ..

ملابس بالية مقطعة الجوانب ، أقدام حافية مشققة، معطف مهلهل ، جلابية قديمة يلبس فوق رأسه قبعة من الصوف ، مازال قادراً على المشي رويداً يتوكأ بعصاته لا أحد يعلم هو يرى بعينيه أم لا . يفترش الرصيف ،يضع بجانبه قارورة ماء ،تسيل رطوبة بجانبه . يتغوط على ملابسة يأكل مما تجود بها المارة.صباح مشرق عليل.

هو يحمل فوق كتفيه شاله الأغبر ، تقوده عصاه إلى ذلك الرصيف الذي يتنقل في أطرافه يعج بالمارة،شمس الظهيرة تلفح من لا يتواروا عنها ، هو لا يبرح مكانه،يتناول الطعام. يمد يده بصمت للاحسان ، يغلبه النعاس ،يتكئ على الجدار مسنداً ظهره . واضعاً يده

اليسرى كمخدة .يغط في النوم يصحو بعد الظهيرة، يقوم من مكانه يمد عصاه للأمام حتى لا يقع في حفرة أو يصطدم بالمارة.يمسك شاله فوق كتفه بيده اليسرى.يجلس في الطرف الآخر للرصيف.الليل يسدل ستاره،مزيحاً شمس الأصيل ، البرد القارس ينخر العظام.الجميع يلبس الصوف .لتقيهم البرد هو ببزته البالية متسمراً في مكانه.

ينظرون إليه وقد أصابتهم نزلة برد.مطأطىء رأسه كأن الأمر لا يعنيه.سواد الليل وسكونه في ظلام الدنيا المنسية،خلو الشارع والرصيف من المارة.يحمل عصاه وماءه،وقد امتلاء ت جيوبه بالنقود ، ثم يختفي فجأة .

الصخرة ...

أضواء المدينة تكشف دائرة الغسق ، حركة غير عادية تدب في السوق أحد الباعة يحرك بقرص معدني يميناً وشمالاً ليشعل موقد الفحم . تتطاير منه شرارة نارية ورماد يضع في الموقد سنابل شامية ، يجاري عليها بقطعة معدنية طوال النهار ، فكلما تجمع حوله الزبائن للشراء ازداد في إشعال مزيد من السنابل . برد قارس لا بد للمرء من الاقتراب من الموقد لينال قسطاً من الدفء . وأخذ سنبلة مشوية اشتعال الموقد وتقرقع الفحم بنيرانها جعلت الناس يتزاحمون حول البائع ، سيارة أجرة تقف ، فتح بابها نزلت منها فتاة تبعتها أخرى رشيقة عيون دائرية ووجه ذهبي مشرب بحمرة تقدمتا نحو بائع السنابل ، اخترنا

بضع سنابل تنحيتا جانباً ، إنداحت إحداهن جانب الموقد لعلها تحصل على لفحة نار ليدفأ جسمها .

تقدمت خطوات في الجهة المقابلة .

وقعت عيني عليها ، أخذ كل منا يرمق الآخر بنظرات متسائلة أهو الإعجاب ؟ أم معرفة قديمة ، اقتربت منها أكثر قالت البرد قارس .

قلت: ولكن المدفأة أضاعت البرودة وجعلت المكان يمتلئ بالدفء ، قالت : ملامحك ليست غريبة عني . عادت بي الذاكرة سريعاً إلى الوراء آو لقد تذكرتك أنتي ... أليس كذلك نعم أنا هي ، مدت لي سنبلة.

قالت : هل ترافقني ؟ نعم ؟

ما أجمل سنابل القمح وما ألذها ، إنها تذكرني بالطفولة ، عندما كنا معاً نذهب إلى الحقل ونقتلع السنابل من فوق عصيها ، نذهب لجمع الحطب والقش

اليابس نقوم بشيها مع أصدقائنا ، الأغنام تأكل الحشائش وأعلاف الذرة تقضمها نشعر بسحر طعمها تقفز للناحية الأخرى تأكلها ،أنا أقفز من مكاني لمنعها تذهب إلى الجهة المقابلة نركض ورائها ، تصر هي على أخذ ما قضمته ، ادعها تتناوله حتى تسد رمقها ، ثم تذهب لحال سبيلها .

قالت ما أجمل أيام الطفولة فبعد افتراقنا وهجرتي للمدينة ، لم تكن كحياة القرية كنت أذاكر دروسي ثم أنجح أخر العام إلى أن أتممت الثانوية حلمي أصل للجامعة والتعرف بأصدقاء وصديقات تجمعنا روح التعاون والزمالة القائمة على الود والاحترام ، إذا وجدت الشخص المناسب وسبق بطلب يدي فلن أمانع بالزواج منه . إلا أنني فوجئت أن الجامعي ينفر من زميلته ، ينظر إليها على أنها لا تصلح زوجه ، لأنه يشعر في نفسه بأنها ستتعالى عليه

ولن يكون المسيطر ، فهو يفضل الأمية ولا يفكر بأن الفتاة الجامعية ستعينه على الحياة وتربية أولاده تربية سليمة وتعليمهم ، ولكني وجدت أن الفتاة الجامعية لا تحاول التقرب من زميلها فهي تفكر بأنه يتعالى ولا يحاول المبادرة كما أنها مقيدة بعادات وتقاليد المجتمع والأسرة ، بأن لا تلفت إلى أحد أن لا تتحدث مع شخص ....

أخذ بنا الحديث ، وقد مضغنا السنابل ، خطواتنا كانت بطيئة ، أضواء السيارات لمبات الإضاءات فوق الأعمدة أزاحت بؤرة الشفق المظلم ، لم أعد أشعر بشيء حولي .

قطعنا عدة كيلومترات معاً ، خيالي ما زال جامحاً .

فجأة اصطدمت قدمي بصخرة كبيرة ، جعلتني أصحو من أحلامي ، تلفت حولي ، لم أجد سوى قدمي التي تضرجت بالدماء.

الخالـــة ...

المكان يعج بالناس نساء ورجال ، الأمواج تتدفق بكثافة .

رياح المحيط الهندي تقذف الأمواج عالياً تكاد صفقاتها تضفي على الأصوات في المتنزه ، الرياح تارة هادئة أخرى تأتي عاصفة محملة ببرد الشتاء لعلها رياح أخر الفصل .

الأشجار الكثيفة تتعالى بجانبها الضحكات وأصوات غريبة. القادم للوهلة الأولى لا يعلم ما الذي يدو . يتخذ طاولة قريبة . للجلوس بينما هي تترصد لكل قاد . يا شاب يا أخ تعال أجلس هنا ، بجانب خالتك يتقد نحوها بخطوات بطيئة فرائصه ترتعد ، عندما ينظر إلى الشابات المحيطة بجانب الطاولة . عيون مدورة مشرئب

تتطلع للوجوه بفراسة مرسوم عليها ألوان زاهية ، يتدلى أسفلها خمار أسود ، متلفعات بعباءة سوداء حتى أخمص القدمين ، ينظرن إليه الشابات بإعجاب يفسحن له المجال للجلوس بقربهن يقتربن منه أكثر يلتصقان بجسده .

ماذا تريد شاي ، شيشة ، ماء ! ....يندهن للنادل هات هذه الطلبات ، وكأنها معدة مسبقاً . يعود النادل ، يقدم فاتورة الحساب الشاب يتحسس جيبه الأيمن يخرج ورقة نقود . ما يزال مذهولاً لم يستوعب الموقف.

تنظر إليه الخالة يبدو يا ولدي أن أقدامك لم تطأ هذا المكان من قبل . يجيبها بارتباك لا نعم نعم ، لم يسبق لي وأن تعرفت على نساء جميلات .

تمسك إحداهن بيده لتتفقد ما إذا كان خاطباً أو متزوجاً ، لم تعثر على دبلة خطوبة ، ربتت على يده حتى لا يكون مرتبكاً.

آخرون يتدفقون على المكان ، تُسمع قهقهات من الطرف الأخر .

الخالة مريم يحيط بها مجموعة شباب من الجنسين وقد أفلحت في دمج الذكور والإناث حيث أنفضوا جميعاً متجهين إلى الخارج .

الخالة شاردة اللب ، لم تنتبه لحديث الشاب بجانبها .

الشابات يتحدثن إليها: مالك اليوم يا خالة شاردة الذهن ؟. خالتي مريم قد أنفقت جميع بناتها ونحن جالسات دون فائدة .

تجيبهن لا تستعجلن لا بد أن يأتي رزقكن .

يندهن للنادل : هات شبس مع طعمية ، بسباس حار.....

نظرت الخالة للشاب معك خمسمائة ريال أريد تناول قات لأني أشعر بالحمى تسري في جسدي ومفاصلي ترتعد ولن أستطع الحركة بدونه .

يتململ الشاب مبدياً عدم ارتياحه ، فهو يرى أنه وقع في موقف حرج ، لكن يجب أن يظهر أمام الشابات والخالة أنه كريم ويمتلك نقوداً فيعطيها ما أرادت .

الخالة تمد بنصف المبلغ للنادل لشراء القات .

الشابات يتناولن العشاء ، يضعن الشبس بالملعقة يطعمنه وهن يتضاحكن .

الخالة كُل يا ولد ولا تستح ، تلقي القات من فمها ، تتناول معهن بشهية . اليوم أنا جوعانة وهذه الأوراق الخضراء لم تشدني . فجأة ، توقفت وكأنها تذكرت شيئاً ، عادت للشرود ، اشمأزت ، تنحت جانباً، تنفست الصعداء ، زفرت الهواء بهدوء ، رغم أنه كان من منعشاً عليلاً قادماً

من البحر الواسع ، محملاً برائحة زكية والأبخرة تتصاعد في المكان . روائح العطور التي كن يضعنها بآباطهن ويمسحن بها خمارهن وأيديهن محاولات جذب انتباه الشباب .

البحر بأمواجه المتلاطمة وطيور النورس تحلق على ارتفاع مشرعة بأجنحتها و رأسها إلى الأسفل لتصطاد الأسماك .

البجع تغوص في الماء والموج يتقاذفها من جهة لأخرى وهي مصرة على الاصطياد . الهلال يسطع بضوئه على مياه البحر كان يلوح في الأفق البعيد الرائي يراه قريباً وأن باستطاعته الإمساك به وكلما أقترب منه أبتعد أكثر.

تقف إحداهن تنظر للناحية الأخرى علها تجد ما تصطاده . أووووه ما هذا اليوم ألن أستطيع اصطياد سمكاً

واحداً ، تزداد في استخدام الروائح ، تمسح عباءتها ، تمسح إبطها وخمارها .

تتجه صوب الطاولة المجاورة ، تجلس بجانب شابين يشربان الشيشة . تلقي عليهما التحية ، تستأذنهما بالجلوس .

يُسمح لها.

- أريد شيشة . يأتي بها النادل يقدمها. تضاعف الطلبات .

يقدم النادل الفاتورة فيدفع الشابان الحساب .

ويدور الحوار ، تعلو الضحكات .

يقبل شاب قصير القامة ممتلئ الجسم أسمر البشرة تبدو ملامح وجهه حصوله على شيء فلديه الخبرة بالزبائن القادمين من الخارج لكثرة إرتياده المكان: لقد

حصلت على زبون سيشتري منكِ التلفون ويشير لإحداهن إنه هناك في الطاولة المجاورة .

تقف مسرورة برفقة الشاب حاملة تلفونها بيدها اليمنى وفي اليد الأخرى حقيبتها السوداء ، تتقدم نحو الرجل في العقد الخامس ، التجاعيد على وجنتيه بينما وجنته اليسرى ممتلئة بالقات أسنانه صفراء وبشرته رمادية ، يمضغ القات بحماس ، يلبس معطفاً وجلابية .

الخالة بجانب طاولتها ما زالت تتنهد ، لم تساعدها وريقات القات في نسيان ذاكرة النهار ، ما يزال ذلك المشهد الذي يتكرر ويسيطر على ذاكرتها: قالت لم يحدث في حياتي مثل ما رأيت اليوم ، اغتسلنا مع نساء إلا هذه المرأة . أكاد أتقيأ لازم أذهب لأغسل وجهي .

يا بني هات مائة قيمة صابون ، تقوم من مجلسها بحركات بطيئة تعود تغسل وجهها تضع أحمر الشفاه

تصبغه بلون أبيض يعود بشوشاً ،تعود لمجلسها ، تمر أمامها فتاة في التاسعة عشر ، يا خالة : أنتي مثل أمي ربيتني وعادني صغيرة . كان الإطراء من الشابة من أجل كسب الود ، تتجه الفتاة للطرف الآخر . تطأطئ العجوز رأسها ترفع عيونها تجاه الفتاة التي أمامها . يبدو حظك في هذا اليوم تعيساً فلا ربما حدث لك مكروه لو ذهبت مع أحدهم.

رجع الشاب قصير القامة وهو يحمل البشارة باتفاقه مع الرجل ذو المعطف يخبر الخالة التلفون السيار بكذا ... وهذا المبلغ لك وهذا لي . تنادي على الفتاة : هذه النقود لك عديها - ولكن هذا غير كافٍ والسهرة ستطول .

الرجل يتذمر: أنا لا أمتلك سوى هذا المبلغ يتحسس معطفه يخرج بقية النقود هذه آخر ما تبقى لدي تضع الفتاة النقود في حقيبتها وتذهب معه .

هبت رياح البحر وعلا حفيف أوراق الشجر ،الفتاة فاتحة عباءتها ؟برز صدرها بلونه القمحي ونهدان مكتنزان..

أردافها تزيدها جاذبية .

- يقترب منها شاب - كيف العمل معكم اليوم ؟

- يبدو أن الحظ معاكس لنا - لقد وجدت هذه الورقة أخرجها من جيب قميصه ، الحقيقة اليوم عملوا لي سحراً وحصلت على هذه الكلمات مكتوبة بجانب الطاولة .

يقترب شاب ذو بشرة بيضاء وشعر أملس ، يبلغ الثامنة عشرة يجلس بجانب الخالة .

- أيش جابك وأيش طلباتك ؟

- أين سميرة ؟

- أي سميرة لا يوجد عندي لمثل هذا الاسم ، يصر على سؤاله ، تنزعج منه ، قم يا بني دور لك على عمل ينفعك ، ينفعل الشاب يقوم بحمق متجهاً للبحث عن سميرة .

كوب شاي ...

أقدامي تقتادني تجاه الشارع ، أضع يدي على فمي من التثاؤب . خطرت لي فكرة بتناول كوب شاي ، أخطوا ببطء رأسي يتدلى إلى الأسفل .

وأخيرا وصلت إلى البوفيه ، جلست على الكرسي مسنداً ظهري عليه .

حركة دائبة في المكان أناس يبتاعون بضاعة قديمة رخيصة آخرون يتناولون الشاي بلهفة بعد الانتهاء من مضغ وريقات خضراء . يسرحون بأفكارهم نحو المجهول ، أفكار متضاربة وأحلامهم تعدهم بالارتقاء ، رؤوسهم تعلوا نحو السحب الداكنة .

الشمس تلوح بالأفق منذرة بالمغيب، وقد توهجت ، وانعكس ضوئها الساطع بماء البحر .

النادل يقترب منادياً طلباتك يا أستاذ أجبته واحد شاي بالحليب صاح بصوته للداخل ثلاثة شاي بالحليب مع الريش لعل بقية الزبائن كان لهم نفس الطلب.

في الجهة المقابلة جموع تفترش الأرض واضعي مشدات فيها وريقات وأغصان خضراء ، ينادون للمارين ليبتاعوا لهم .

أقبل هو يمشي بخطوات سريعة ، يلبس جلابية بيضاء ،له وجه ضامر ، رأس قد سقطت منه الشعيرات عن مقدمته ، يلبس حذاء رمادي جديد ، تلفت يميناً ويساراً أفترش الأرض كمثل بقيتهم .

كان يتأمل حذائه بإعجاب ، يشير إلى المارين بسباته ويعكفها ، وهم يتبادلون نفس الإشارة

إكتض المكان بالناس الذين يرتشفون الشاي ، أحدهم أمسك بكرسي تنحى جانباً ، انظر إلى الرجل الذي معجب بحذائه.

قال : أنا أعرف هذا الرجل إنه يفتعل هذه الإشارة ليتغاضا الناس عن أفعاله ، وهو يعمل لجهة ما ، وتلك حركات تقليدية .

امرأة تلبس جلابية ملونة بلون أحمر وبني ملفعة بها من رأسها حتى أسفل الركبة تمسك بها بيدها اليسرى ، تقدمت بخطوات بطيئة نحو الرجل ، مدت يدها له لتصافحه .

كانت نظراتها توحي بالإشفاق والعاطفة .

أشار إلى قدميه بأنه يلبس حذاء جديد نظرت إليه موحية له بأنها أيضاً أعجبها ما يلبس .

تأملته قليلاً ، أخرجت ورقة نقود مدت إليه ومضت .

أقترب نحوه طفل في العاشرة من العمر ، يقتاد دراجة ، فمه ممتلئ بوريقات القات سأله بكم هذه حيث كان الرجل يلتحف في حجره مجلات وصحف مغطاة بجلابيته ، لم يجب أشار له بيده ، أعاد الطفل نفس الإشارة مما أغضب الرجل قام من مكانه كانت عيونه توحي بالشر ملامح وجهه تغيرت اندفع إلى الداخل خطف من يد النادل كوب الشاي ، أخذ يرتشفه بهلع لم يكن يحس بحرارة الماء الثائر المخلوط بالشاي والسكر والحليب ، لم ينبس النادل ببنت شفه .

أكمل الكوب طرحه جانباً أنزلق للخارج ، تقدم نحو بائعي القات ، أختطف غصناً من أحدهم ، وضعه بفمه بلمح البصر نظر إليه البائع بعين الريبة . كان يشعر في نفسه أنه لو قام من مكانه ، يريد معاقبة الرجل لا جدوى فهذه ليست المرة الأولى التي يبادره فيها بأخذ أغصان القات

ومن ثم وجه الرجل مألوف لديه ، وما يستطيع فعله التكشير في وجهه .

الأخر جن جنونه أخذ يلتهم ويخطف كل ما يراه من مأكولات . حيث معدته أصبحت فارغة الماء يرتشفه وينفثه فوق الآخرين .

من يراه يتحاشاه خوفاً من الاصطدام به أو نفثه بقطرات الماء أصبح الطريق مفتوح أمامه ، وإشارته لا تنفك أن تذهب عنه الحياة تدب في المكان أصوات أبواق السيارات ، أناس يحملون بأيديهم معاول آخرون فرشاة رنج ، موازين بناء ، يلبسون ملابس بالية مهلهلة ، يتراصون فوق الأرصفة جانب السيارات المارة والواقفة . علهم يجدون شخص يريد استئجارهم بمبلغ زهيد لينقض عليه جميعهم معرضين أنفسهم للعمل لديه أغلبهم يأتون إلى

هذا المكان للبحث عن عمل وجوه غبراء داكنة وأخرى ضامرة من سوء التغذية وتقدم السن

شباب في مقتبل العمر ، تسربوا من مدارسهم وأتوا للبحث عن عمل ، علهم يرون في العمل بداية لتحقيق أحلامهم والوصول إلى عش الزوجية وبناء منزل . آخرون قذف بهم الزمن لجهل أبائهم وآتوا لبناء المستقبل البعض منهم لديه قناعة بان بداية ونهاية المطاف وصولهم لهذا الموقع ولا مهرب أو الخلاص منه .

أحدهم يأخذ غلاف كرتون ، يخرج قلم من جيبه ، يكتب بعض الكلمات بخط رديء يكاد لا يقرأ ، لم يستطع التعبير عن ما يكن في داخله .

ينظر إلى الصرح العلمي الذي أمامه يجد مسافة طويلة وعمر مديد للوصول إليه يستسلم لأفكاره بأن لا مخرج من هذا المكان .

الشاب ذو الإشارة قد يعرف ماذا يدور حوله أو لماذا هذا الجمع من الناس ، فهو أحد الهاربين من واقعه ، وافتعاله تلك الحركات واختطاف للشاي والسندوتش والوريقات تطبيقاً للمثل (جنان يخارجك ولا عقل يحنبك).

شمس الأصيل شارفت على المغيب في دائرة الغسق التي ابتلعت قرص الشمس رياح الشتاء الباردة المحملة بالأتربة تقتحم المكان ، كانت تبدوا غير باردة للجالسين لأنهم اعتادوا عليها الرجل الصامت ذوا الإشارة أزعجته تلك الرياح اخترقت ساقيه وجلابيته البيضاء ، ومعطفه المهلهل ، قدماه تقتادانه إلى الأمام للبحث عن مكان أخر للنوم .

الحمـــار السوداء ...

شفق الصبح يزيح ستار الليل رويداً ، حشرة صغيرة بحجم رأس إصبع الإبهام ، يسمع رنين صوتها بين الأشجار صوتها يدوي في الأرجاء ، تقبع وسط الأشجار تتكاثر بكثافة ، كلما ظهر الشفق ، أنزاح الظلام ، صوتها يُسمع كالأجراس ولعل اسمها حشرة الأجراس يذهب ستار الليل تهدأ بالرنين .يأتي دور العصافير بالشقشقة ، على الأشجار ن تبدأ بالتطاير من شجرة لأخرى كل يوقظ الأخر ، صوت مغاير لتغريد العصافير الصغيرة .

لطائر أكبر حجماً من العصافير لون ريشها أغبر ، منقار مائل للسواد كوكوكوكو يسمى (الجولبة) أما الطائر

ذو المنقار الطويل والريش السماوي فهذا يطلق صوته في الصباح الباكر منذراً بسقوط المطر .

ظهور الشمس أعلى الجبال ، تدب الحركة ، الحمار السوداء تدك الأرض بأقدامها موقظة أصحاب المنزل لإطعامها .

ذات عيون سوداء دائرية وذيل قصير يتحرك باستمرار وكلما اقترب منه الذباب والناموس نفثه بعيداً تبدأ بالحفر بقدميها الأماميين والركض إلى الخلف بمقدمها الخلفي ، ومن ثم النفخ بفمها وذلك منها إنذار لأصحاب المنزل لايقاضهم لإطعامها ، كونها اعتادت تناول الأعلاف أثناء شروق الشمس وأما إذا تأخر الطعام عنها تنهق بصوتها ، وتزيد الرفس للأرض ، وإن أدى ذلك إلى قطع حبال رقبتها والقيام بالبحث عن الطعام .

تسمع مربيتها حركتها تقوم من نومها متجهة إلى أسفل لتضع الحشائش للحمار ، ثم تبدأ بربط السرج فوق ظهرها لوضع الحب عليها .

وما أن تتم مضغ الحشائش والأعلاف ، تكون المرأة قد أعدت الحب في شوالة تقوم بوضعه على ظهر السوداء ، يصعد أبنها فوق الحمار يحمل في يده عصا ، يبدأ بضربها في مؤخرتها ، وفخها تنقاد له بخطوات بطيئة كسولة وكأنها تعبر عما في داخلها بأنها لا تود الذهاب للطاحون تخفض رأسها إلى الأسفل ، تتشمم تتساقط عليها العصا ترفع رأسها تخطوا بسرعة ليست منتظمة ، بغية منها إفلات الشاب من فوق ظهرها ثم إتلاف الحب والعودة إلى المنزل أو الذهاب تجاه الحمير يتشبث الشاب بها يمسك بالسرج من الأمام والخلف وبدلاً من السير بطريق متوا

تتعرج محاولة التملص ، يزداد هو بضربها حتى تحد خطواتها تمشي في الطريق الصحيح .

يصلا إلى الطاحون ، وهما منهكي القوى . ينزل الحب من عليها ، بعد أن ربطها بجذع الشجرة ، كونه لا يأمن من جلوسها وتركه في الطاحون ، يمسك بأكياس الحب يرفعها على صدره ، رغم ثقلها وهو يرمق بعض الفتيات وهن ينظرن إليه من الداخل أراد بذلك أثبات لهن قوته حتى يكون محل إعجابهن كن قد أكملن طحن الحب ووضعنه فوق رؤوسهن ومضين . هي تدور حول جذع الشجرة محاولة فك الرباط .

بدأت تهدأ بعد أن رأت أن لا فائدة من فك الحبل ، اقترب أحد الحمير منها حيث أخذ يتشممها هي كانت تبادله نفس المشاعر نهق الحمار بأعلى صوته معبراً عن فرحته بها إلا أنه بدأ يغلظ طباعه معها قام بقضم رقبتها

ومحاولاً ولوجها بعنف تألمت ثار الشاب من مكانه من الداخل. انهال ضرباً على الحمار وأبعده عنها .

أزف الليل بالمجيء والسوداء ما زالت مقيدة في جذع الشجرة ، ازداد توترها وبالأخص لدى ذهاب الحمير الذين كانوا بجوارها ، رأت أنها وحيدة حتى الذين يطحنون الحب ذهبوا وبقى الشاب لم يكن قد أكمل ما جعلها تنزعج ، وتتوتر ، القلق يبدى على وجهها، حيث مال إلى السواد أكثر ، عيونها الدائرية بدأت تحمر ، شعرها أقشعر ، شفتيها تدلتا إلى الأسفل ، ضروعها منتفخة لتكاثر اللبن فيها ، أبنها ذو الثلاث شهور ، لم يأخذوه معهم خشية تأخرهم في الطريق أو يذهب على هواه فتذهب أمه بعده شارفت الشمس على المغيب ، لم يبقى غير وميض في رؤوس الجبال بدأ الشاب بنقل الدقيق ، وضعه فوق الحمار ، قام بربطه جيداً أبعد الحبل من جذع الشجرة ، صعد

أمسك الحبل بيده اليسرى . عصاته باليد اليمنى ، حرك قدميه ، انطلقت السوداء ، كالرياح ، بخطوات منتظمة .

تخيل الشاب نفسه كأنه راكب فوق حصان ، أمسك بالحبل جيداً رمى العصا أرضاً ، لم يعد بحاجة إليها ، كانت تسير بالطريف الصحيح وغير المتعرج ، لم تحاول قطف المزروعات رغم خلو بطنها من الطعام . كانت الطريق تتسع لمرور جميع المخلوقات كانت الحمار ترفع رأسها للأمام وتارة تطأه تجاه الأرض ، محاولة منها التخلص من الراكب عليها ، لكي تزداد في سرعتها ، وبانطلاقها بين المزروعات المتراصة على جانبي الطريق تدحرج إلى الأمام تشبث برقبتها ، أصبح معلقاً بين الرقبة والأرض حاول التشبث بالحبال أفلتت منه أقترب أكثر من الأرض أنزلق من على الرقبة بعيداً عن أقدامها كانت

فرحتها غامرة حين تخلصت من الشاب ، ولم يبقى فوقها غير الدقيق وهذا أخف.

كانت خطواتها تسابق الرياح ، لم يستطع المارة عرقلة سرعتها .

بدأت تقترب من المنزل

كان أبنها في فناء المنزل سمع خطواتها ، أحس بأنها أمه ، نهق وصلت إليه تشممته ، بدأ يلعق ضرعها ، كان شعورها مليء بالسعادة وكأن الفراق دام طويلاً.

في الفضاء...

أضواء المدينة المشعة بالأنوار النجوم تتلألأ في السماء ، تنير وحدة السكون ، تجذب الرائي إليها والتفكير بتعمق في الكون بأكمله.

توقفت فوق ربوة عالية أتأمل سكون الليل أخذ بي التفكير لو حاولت الطيران . رفعت يدي عالياً مقلداً الطيور ارتفعت قدماي عن الأرض زدت بالتحليق بيدي ، ارتفع جسمي عن الأرض ، طرت نحو الأعلى مددت جسمي بدأت أطير ، فرحت كثيراً لأني سوف أحقق أمنيات لطالما حلمت بها كثيراً حلقت في الأجواء ، معظم المنازل كانت مطفأة ، أضواء خافتة لأناس غارقون في النوم مع أطفالهم في غرفة واحدة ، بعض أبنائهم في ريعان الشباب ، امرأة تتوجع من المخاض لا أحد بجانبها سوى امرأة واحدة

تتحرك ذهاباً وإياباً ، لا تعرف أساليب التوليد آخرون يشاهدون التلفاز ويضحكون .

رجل وامرأة يتشاجران في ساعة متأخرة من الليل ولعل المشكلة سهلة بإمكانهم حلها ، دون معرفة أطفالهم لما يدور .أفراح وأهازيج في هذا المنزل ، أحزان في آخر .

حركة دائبة ومستمرة للبشر ، جمود وانطفاء ، فقر ، غناء .

فكرت قليلاً لطالما أن الإنسان لا يحب الاستقرار والهدوء والعيش بسلام لماذا لا أصعد إلى ارتفاع أكثر ؟ حلقت بين السحب المتراكمة أحسست أني أبتعد عن العالم ، شعرت بأني تحررت عن ما في داخلي من أفكار ، عواطف ، حب ، كره ، رحمة .

أصبحت وحيداً تخلصت من كل ما يؤرقني ، شعرت أنه كلما ابتعد الإنسان عن الآخرين كلما تحرر أكثر .

ماذا لو حررت نفسي أكثر وابتعدت عن كوكب الأرض .

لماذا لا أصعد إلى القمر ؟ ومن ثم إلى بقية الكواكب حتى أصل إلى نبتون ، إذاً في هذه الحالة لا سوف أسبق المسبار الفضائي الذي أطلق تجاه المريخ ، ومن ثم سينطلق إلى كوكب بلوتو حيث مقدر له أن يصل عام ٢٠١٥م .

وفي وتيرتي هذه سأصل في بضع أيام قلائل وسأشاهد عالم أخر وفضاءات واسعة سأشاهد ما لم يشاهده أي إنسان .

فجأة أحسست بجسمي يتثاقل . برودة تخترق جسمي ، مددت يداي إلى الأعلى حاولت استخدام طريقة

السباحة اصطدمت يدي بجدار الغرفة ، كانت النافذة مفتوحة البرد القارس يدخل منها استيقظت من نومي .

النقـــاب . . .

ضوضاء في المكان أناس يبتاعون فواكه ، خضروات ، أبواق السيارات يرتفع المحلات تزدان بالمشترين تتزاحم في الخارج باعة متراصين يفترشون الأرض يبيعوا فواكه مأكولات ألبان ، حلويات . نساء جالسات فوق صفائح معدنية رؤوسهن مطوية بعمائم حمراء داكنة فصوص ذهبيه تتدلي في الأذن سلوس عريضة معلقه على الرقاب أسنان بعضهن من الذهب تزيدهن أكثر جمالا ونضاره واجتذابهن للزبائن لشراء ما يحتاجون ، يلبسن قمصان ملونة تتناسب مع زينتهن . سيارات باصات أجرة متراصة يقلن الركاب إلى محطات بعيدة شمس حارة تلفح الوجوه لا أحد يحس بها لانشغالهم بالبيع والشراء

بينما هو أخذ ينظر إلى الجميع بجلوسه تحت أحد عقود المنازل المطلة على الشارع .

كان يترقب المارة ليصطاد أحد زبائنه المعروفين ليقلهم إلى قراهم . فكر مالي متسمراً إلى هذه الساعة وهي تشير إلى الواحدة ظهراً ، الركاب لم يتجمعوا ، معدتي فارغة ، سوف أذهب لتناول الغداء ، ثم أمر إلى محل الحلويات لتناول الهريسة ، قاده تفكيره إلى ذلك الحد تحرك لتنفيذ ما فكر به .

أخذ وريقات القات وضعها في كيس بلاستيك ، صعد على الرصيف أمسك بقطعة كرتون مزقها نصفين أفترش بها الأرض .

اتكأ على يده اليسرى فوق حجر كعادته للجلوس يومياً وأمام سيارته الأجرة ذو اللون الأبيض .

كان يتربص حركة الناس ويمضغ وريقات القات بإسهاب يده ممسكة بحبة السيجارة يرتشفها بقلق ويتأمل الآخرين وهم يختلطوا فيما بينهم .

أبواق السيارات والدراجات النارية يُسمع ضجيجها حالة الإزعاج تشعره بالطمأنينة

بأن الحياة تدب في الناس وهم يلبسون ملابس رثه وبالية آخرون يلبسون ثياب أنيقة ، سيارات بالية قديمة تمشي ببطء . الدخان يتصاعد من مؤخرتها .

سيارات جديدة آخر موديل يقودها سائق متهور لا يبالي بالمارة . بينما هو يفكر بأعماق نفسه ، وقد امتلكته نشوة القات لا بد في هذا اليوم من إيجاد ركاب لتعويض ما صرفه من بنزين للسيارة وتوفير مصروفات المنزل ولأن الزبائن يأتوا لهذا المكان قد يذهبوا لغيره . إذا برح من مكانه اهتدى أخيراً إلى أحدهم كان يقصد نفس السيارة

. توقف أمامه تصافحا أخذ منه المتاع أخذ الرجل يجمع حاجياته ، أستدعى أسرته ركبوا معاً ، تحركت السيارة كانت السماء صافية جو معتدل منعش ، كانت متعة لهم برؤيتهم للمناظر الجميلة والأشجار والمزروعات على جانبي الطريق الثمار فوق الأعذاق تجذب الرائي ، الطفلة تريد قطف إحداهن الظل يزيح أشعة الشمس . رعود مدوية في السماء ، رياح قوية تحرك الأشجار بأوراقها . الطريق أصبحت شبه خالية من المارة السحب تحولت إلى الأسود الغامق ، الأمطار تتساقط بغزارة اقتربوا من الطريق الوعر . السائق يتوقف على حافة الطريق الممتدة لبضع كيلومترات ، والمتسقة بين جنباتها تتخللها الأشجار المورفة والمحملة باعذاق الفواكه . الماء يتسلسل في وسطها ، وقد اختلط بمياه الأمطار ، و تحول إلى اللون الداكن .

هم يترقبون في الداخل مرور السيول بكثافة مترددين بين آن يبقوا في مكانهم على حافة السائلة أو يغامرون بالدخول لمجرى الماء قبل أن يتكثف ولكن ماذا لو فوجئوا به ؟ ماذا سيكون مصيرهم ؟ الانتظار سيطول .

الليل شرع بالدخول وإلى متى سيظلوا في ترقب ؟

قال السائق سوف نبدأ السير لأن الأجواء لا تنذر بمرور السيول الكثيفة . الركاب في صمت مريب مشوب بالخوف والحذر.

المرأة تهمس بأذن زوجها من أن يسمعها البقية ، بأن سيلا كثيفا سيأتي

لأنها تشعر باضطراب في داخلها وخفقان قلبها على غير المألوف .

الرجل لم يعر كلام زوجته ، أخبر السائق بأن يتقدم للأمام.

السيارة تتحرك ببطء ، تتعثر بالأحجار الملقاة في الطريق ، الأمطار تتساقط بغزارة الماء المنساب يرتفع ، كلما داس السائق على البنزين أبطأت السيارة في التقدم فجأة السيل يلقي بثقله على مقدمة السيارة .

أصوات عالية من الداخلي ، المرآة التي كانت تهمس بأذن زوجها ، لم تعد تخفض صوتها رفعته عالياً ، عنفت زوجها لعدم سماع كلامها رفعت النقاب عن وجهها تشبثت بابنيها..

زوجها ضميره يؤنبه لعدم سماع نصح زوجته ، الخوف ينتابه من حدوث مكروه لزوجته وأولاده ، أخذ يفكر في السبيل لإنقاذهم .

إطارات السيارة تتصحر ، السائق يدوس على البنزين بكل قوته ، وقد دفع بكوابح السيارة إلى الأمام المياه تغمرهم من الأمام ، أحجار صغيرة ، كبيرة ترتطم

بالمقدمة الزجاج الأمامي مازال يقاوم تصدعات المياه ، ولم ينكسر بعد .

احد الراكبين قذف بنفسه إلى الخارج . جرفته المياه تشبث بجذع شجرة صعد من المياه ، مد يده إلى البقية ، يشير إليهم بالخروج .

أخذ الرجل ابنته من أمها وقف على نافذة السيارة ، وقد تسرب الماء للداخل لاح للأخر قذف بابنته أمسك بها بعيداً عن مجرى السيل . آخر قفز من النافذة جرفه السيل لحق به أحد الناجين أمسك به وساعده على الخروج .

وجد الرجل حبال في الداخل ربطا بها جسميهما ألقى بها للخارج ربطت بجذع شجره اقتيدا نحو الشط نجيا بنفسيهما وهما يمسكان بابنتهما احتضنت المرأة زوجها .

توترت يد السائق فوق المقود قدماه فوق البنزين وبقية المكابح ، تحطم الزجاج تدفقت المياه بكثافة إلى الداخل السيارة أصبحت معلقة بين المياه والحبال الناجون يلوحون للسائق بالخروج بكل قوة وحماس.

لا فائدة من خروجه كونه أصر على البقاء لا يريد ترك سيارته لأنها مصدر رزقه ولو فقدها سينعدم دخله كان السائق يأمل أن تظل السيارة مرتبطة بالحبال حتى تخف السيول إلا أنها كانت تتكاثر بتكاثفه الأمطار تزداد والسيول تتكاثف.تمزقت الحبال جرفت السيارة مع السائق .

المياه الزرقاء ...

وجه اسمر بعطفات الشيب عيون سوداء غارقة تحت الجفون شعر الرأس أجعد يدين سمراوين يغطيهن الجلد ، تلبس بالطوا أسود مهلهل ، أقدام متشققة آثر المشي ، تلبس حذاء بلاستيكي مكشوف ، تحمل كيساً لجمع ما تقتاته أثناء خروجها من المنزل .

تصحوا بعد شروق الشمس تتناول الإفطار تحمل كيسها تخرج للمرور بين محلات وأسواق الباعة . الكل يعرفونها بملابسها حاملة .بجلابيتها صور لبناتها الخمس.

تعرض تلك الصور لمن تثق بهم من الباعة لأن ذلك مصدر فخرها لما يمتلكن من جمال .

يداعبها أحدهم أريد هذه يشير إلى أبنتها الكبرى .

تجيب أو هذه متزوجة على واحد ما كنت أشتي تزويجه . لولى أنها أصرت عليه . ذاك ما يقدرش حتى يصرف عليها . أرجع أني أغلق من الداخل بس أنت جيب شويه قات وأني بازوجك بواحدة .

أقدامها تقتادها إلى سوق السمك حيث القوارب راسية على الشاطئ الشمس في أوج حرها البحر الأزرق الرحيب يتدفق إلى الشاطئ أمواج هادئة الصيادون يصطفون الواحد تلو الأخر .

بأيديهم سكاكين حادة يقطعون بها الأسماك .

المستحمون يخرجون من البحر ، يتراكضون يخبوا في الماء يتطاير الرذاذ من أمامهم وورائهم شرع الضجيج يعلوا وهم علي الرمال وجوههم متشرعة نحو الشمس ، علها تتحول إلى ألوان قمحية ، الفؤوس والسكاكين الحادة تقطع الأسماك التي اصطيدت ، تبتاع أوصال تشوى في

مدافن مصنوعة من التبن والإسمنت وهي منشغلة بجمع وقطع الأسماك من هنا وهناك .

أمتلئ كيسها ، تمر بجانب الشاطئ تتأمل البحر بلونه الأزرق ، تضع حذائها بيدها تتمشى في المياه المتدفقة للشاطئ تواصل سيرها مبتعدة عن البحر إلى سوق أخر حيث زوج أبنتها الذي يعمل بمحل . يبتاع بعض المعلبات والعصائر ، وزجاجات البيبسي يفتح دكانه في وقت متأخر من الظهيرة ، يعاني من مرض يقعده أحيانا أسابيع في المنزل هي لا ترتاح لهذا الوضع ، دوماً توبخه .

أنت رجل كسول ولا فائدة منك ، وقد زوجتك أجمل بناتي ، ولكنك غير جدير بها ، يطأطئ رأسه لا ينبث بشفه تنظر إليه باستهجان ، أنت ضعيف الشخصية ليس لك كلمة على ولا على ابنتي ، لم تشتري لها ملابس ولا ذهب . يظل صامتاً ليس خوفاً منها ولكن من أجل زوجته

تمضي هي نحو منزلها المكون من ثلاث أدوار وهي تمتلك شقة واحدة مع بناتها ، الأدوار والشقق البقية لأناس آخرين ، تصعد درجات السلم ، تجد شقة أحد الجيران مواربا تدفعه رويداً تتسلل بهدوء دلفت لغرفة الضيوف فتشت الأدراج أعادتها لمكانها ، انتقلت لغرف النوم فتشت درج الملابس وجدت على الكمدينوا مساحيق الزينة ، عطور ، تناولت إحداها رشت بها خدها وإبطها وأعادتها لمكانها ، تخطت إلى الصالة ، اتجهت للمطبخ .

حيث ربة البيت ألقت عليها السلام ، ردت بهدوء لأنها تعلم بالمرأة العجوز أن من عادتها دخول الشقة من دون علمهم وهي تعلم في نفسها لو لم تكن على علاقة طيبة مع العجوز لأخذت ما تريد . رحبت المرأة بها جلست تتناول الطعام حتى شبعت .

اتجهت لشقتها طلبت من ابنتها إعداد المداعه والبوري والفحم اتكأت ، اسندت ظهرها نفثت الدخان تأملت التلفاز

شرع الليل بإسدال خيوطه تماهت الشمس بلونها الأحمر المنعكس على مياه البحر أصبح الليل مضاء بالقمر ، والفضاء منوراً ، والنجوم مصابيح مشعة ومتناثرة والزبد ينفرش رغاء مخرجاً على الرمال ، خرير الموج موسيقى ناعمة .

كانت العجوز تعول خمس بنات ولديها ابن وحيد .

إلا أنه لا يحب العمل في النهار فعمله يبدأ بعد هجوع الناس في منازلهم ، حيث يبدأ بالتسلل للشقق التي ليس فيها سكان أو المنازل الخالية ، يجلب لوالدته ما يصادفه من تلفزيونات ، راديو هات ، نقود ، وأي شيء يستطيع حمله ، ثم يذهب لبيعه في اليوم التالي في السوق .

إلا أنه يهوى ركوب البحر ينام حتى العاشرة صباحاً ، يتجه صوب الساحل يضع ثيابه يندفع بسرعة فائقة إلى المياه الزرقاء ، لا يتردد في الدخول إلى الأعماق ، كانت الأمواج عاتية تصطدم بالصخور تنفثها ، تكون زبداً أبيضاً ما يفتأ يعود إلى مياه البحر ، أصدقاءه يعتبرونه من السباحين المهرة . هو يرى أن البحر صديقه ولن يغدر به .

ينظر للبشر على أنهم يتعاملون معه باستهزاء واستهجان وانه من أسرة فقيرة . وان أمه تلك التي تظل تدور في الأسواق .

إلا أنه بهذه الطريقة ينتقم منهم .

أغلبهم يحاول التقرب منه خوفاً من سرقة منزله أو متجره .

أما والدته تفتخر به كونه الرجل الوحيد في العائلة تدافع عنه أمام الآخرين أنه لا يسرق ، وأن كل صرفياته

من جيبها فهي تأمل في قرارة نفسها أن المستقبل سيكون في صالحه وأنه العائل القادم للعائلة .

ذهب يوماً في العاشرة صباحاً . كانت الأمواج كثيفة يعلوها زبداً أبيضاً كثيف رياح قادمة من البحر ، الغبار تعتلي الساحل حبه للبحر لم يمنعه من الدخول نزع عنه ملابسه بدأ يخطوا نحو المياه والأمواج سبح للداخل الأمواج ترتطم بوجهه محاولة إبعاده عن الدخول والمغامرة وكأن البحر ينذره في هذا اليوم على عدم السباحة وأن الحب أصبح متبادلاً إلا أنه أصر على الدخول والتعمق ، لم يشعر بجسمه إلا وقد ابتعد أكثر عن الساحل . الأمواج أصبحت عكس اتجاه التيار ، يسبح بيديه تتدافع ترتطم بوجهه ينقلب على ظهره حتى لا يتعب . يدفع المياه بقدميه يتغطى جسمه بأكمله يدفع جسمه بقوة يجدف بيده إلى الأمام ، والخلف ، ينهكه التعب . يشير بيده

اليمنى لعل أحد ينقذه ، إذا وجد شخص في الساحل الكل قد ذهب مبتعدين عن الرياح وتصاعد الرمال في الشاطئ .

الطيور محلقة في السماء تزعق برعب ، تحوم بينها ، منذرة بالخطر وأن شيء ما سيحدث ، لم تعد تصطاد الأسماك العائمة فوق سطح المياه يديه تعبتا ، أقدامه تتراخى ، شيء ما يسحبه إلى الأسفل ، أزداد ذعراً تخبط على المياه جسمه إنداح للأسفل .

تذكر أمه ، وأخواته ، وأصدقائه ، في الطفولة ، والكبر ، تذكر ما كان يصنع بالآخرين .

اختفى عن الأنظار ، عادت الطيور للاصطياد أمه تنتظر عودته على أحر من الجمر . أطل المساء بلباسه هجع الناس في منازلهم وهي ما تزال تنتظر عودة ابنها ، لم تراه طوال النهار والليل ترى أين يكون ؟

ما الذي حدث له ؟ ازدادت في نفث الدخان من القصبة الواصلة لفمها . نور الصباح يزيح خيوط الليل ، الغربان تزعق لتوقظ الناس إلى بداية يوم جميل نسيم الصباح ورائحة الزبد القادمة من البحر ، عبر الرياح الهادئة .

أم أصيل ، لم يغمض لها جفن .

تناولت عباءتها ، تركت باب الشقة مفتوحاً نزلت درج السلم سريعاً مضت في الشوارع تفتش عن ابنها

سألت أصحاب المحلات ؟ سألت أصدقائه ؟

انطلقت لسوق السمك أحدهم أجابها بأنه رأه في اليوم السابق على الساحل نظرت إلى البحر وإلى الساحل بقلق ، هالها منظر الصيادين متجمعين .

ساقت أقدامها بخطوات منزعجة شاردة التفكير .

وصلت إليهم تفاجأت بوجود جثة ابنها بعد أن قذفه البحر إلى الساحل فاقداً معظم أجزاء جسمه .

زعقت بأعلى صوتها أجهشت احتضنته .

أخذوه من بين يدها حملوه على أكتافهم ، تنحت جانباً مضت باتجاه الساحل ، نظرت إلى البحر والأمواج وهي تتدفق واحدة تلو الأخرى تقدمت باتجاه المياه مناديه أصيل شرعت بالدخول في البحر علها تجده .

تخيلته قادماً نحوها يلوح لها بيده اندفعت نحوه بجنون وسط الأمواج لتلتقي به .

النسيان...

قالت الساعة الرابعة مساءً ، طالما الأولاد ما يزالوا في المدرسة ، لم يبقى ما يشغلني من الأعمال المنزلية ، لا بد من الذهاب لإحدى الصديقات للجلوس معها . وتناول ما لذ وطاب من الحلوى ، توقفت عن التفكير ، تذكرت طفلتها بأنها . تعبث بكل ما حولها وقد تكسر شيئاً ثميناً . إذا سأتركها لدى الجيران ثم أذهب .

قامت بتمشيط شعر ابنتها سرحته ، عقدته دوائر بلاستيكية كومته .

ألبست ابنتها أفضل ما لديها من ملابس وضعت أحمر الشفاه على شفتيها ، ثم مررت بعض الألوان على وجهها ناسقتها مع لون بشرتها لبست البالطوا نصحت ابنتها ألا تكون شقية مع أطفال الجيران أو أن تبعثر بمحتوياتهم .

كانت الطفلة تنظر لأمها بعين الريبة والبراءة ، وفي نفس الوقت لديها الرغبة في الذهاب مع أمها .

فهي تحب تقليد أمها في كل شيء تريد اللبس والتزين ، تضع احمر الشفاه تستخدم زجاجة العطر ترشها فوق ملابسها ، كي يصعد منها رائحة عطرة .

اتجهت الأم نحو صديقتها . طفلتها بقيت لدى الجيران . أخويها عادوا من المدرسة وجدوا الباب مغلقاً . وضعوا حقائبهم المدرسية جانب باب الشقة . خرجوا للعب .

تناست الام أطفالها وهي منشغلة في الحديث مع النساء . أزاح الليل قرص الشمس الخافت منذراً بليل يسوده الهدوء والراحة ولعله قاد أبوا الأولاد إلى المنزل .

تفاجأ الأب بوجود ابنه خارج المنزل . أمسك بتلابيه ووبخه لجلوسه لساعة متأخرة . دخلا معاً وجدوا الباب موصداً . دقوا الجرس ، لم يجب أحد .

انفعل دق بيده بقوة .

سأل ابنه أين ذهبت أمك ، لا أعلم!

التفت إلى الخلف وجد حقائب ابنه ملقى على الأرض ، تغيرت ملامح وجهه ازدادت حدة .

أين أخوك ؟ لا أعلم ! أشتط غضباً اتجه نحو الخارج للبحث عن ابنه .

زادت الشكوك . ترى أين يكون ؟ هل ضاع ؟ أم خطف .

انتقل للبيوت المجاورة ، دق على الأبواب بكل قوته ، لم يكن يشعر بأنه يزعجهم . كان همه الوصول لابنه .

ركض بأقصى سرعة للشوارع وجده يلعب مع أصدقائه مع جيرانه .

عاد أدراجه إلى المنزل .

كانت زوجته قد عادت وهي أسوا حالاً منه .

تتخبط من غرفة إلى لأخرى ومن شقة لشقة بحثاً عن ابنها . الدموع تنهال من حجر عينيها ، تنساب على الوجنتين .

تواجهت مع بعلها وابنها .

كانت فرحتها عارمة احتضنت ابنها هرع الأب للداخل غاضباً يتلوى في الطارود منتظراً زوجته لتأنيبها .

عادت تخطوا للأمام ، أخرى للخلف شاعرة بالذنب لكنها كانت على استعداد لتحمل العواقب المهم أن أبنائها متواجدين معها خطوات بطيئة مشوبة بالحذر ، رأس

مطأطئ للأرض ، عينين حمراوين وجنتين مصفرة أزيح عنها كل الألوان .

أين أنتي في هذه الساعة المتأخرة ، أليس لديكي أطفال في المدرسة وطفلة بحاجة لرعاية ، لقد تركتها لدى الجيران . الزوجة صامته .

أنتي عديمة الفائدة ، وبحاجة إلى تربية من جديد .

الزوجة . حسن ألفاظك واعرف مع من تتحدث . أنا لست أجيرة لديك سأذهب لأهلي وهم قادرون على تربيتك .

أهلك يربوني .

تقدم خطوات صفعها على وجهها ، لم ترد عليه .

انهمكت تذرف الدموع .

ذهب لغرفته أوصدها .

قامت من فورها لملمت حاجياتها وضعتهم في حقيبة ، أخذت طفلتها انطلقت نحو الخارج .

الأم ظلت قلقة ، ماذا سيكون مصيرهم مع أبيهم ؟

تساءلت لماذا تركتهم بهذه السهولة ؟

النوم شارد من جفونها ، دموع متواصلة ، أرق ، أعصاب متوترة ، دوامة من الأفكار ، تدور في عقلها ، ترى هل تناولوا العشاء ؟

هل ناموا جيداً ؟ من سيعمل لهم طعام الإفطار ؟ أبوهم سيذهب للعمل سيظلون لوحدهم وسيكون مصيرهم كمثل اليوم السابق ، لن يذهبوا للمدرسة سيتيهون لن أراهم مرة أخرى . يا إلهي ماذا فعلت ؟ لماذا هذا العنف ؟ لقد كان الزوج على حق عندما عاقبني . ولا يهم أنه صفعني ، ليتني ما خرجت من المنزل وتركت أولادي

ماذا أصنع الآن ؟ آآخرج في هذه الساعة من الليل لأعود للمنزل ؟ لا سوف تقل كرامتي أمامه ومن المفترض أن يأتي لإرضائي والاعتذار عما بدر منه .

وسأعود معه ! ولكن أعرفه إنه عنيد وقد لا يأتي ولن أرى أولادي أرق تقلب إلى اليمين واليسار .

لاح الشفق بالأفق ، مبعداً سكون الليل ، وفي إشراقة يوم مليء بالأفراح والأحزان .

أفاق الأب مذعوراً ، تذكر زوجته بمغادرتها المنزل ، بدأ يفكر كيف سيذهب إلى العمل ؟ وما هو مصير أبنائه لوحدهم ؟

لا بد من أخذهم معي وبانتهائي من العمل سأدعهم يذهبوا للمدرسة ولن أذهب بهم لأمهم حتى تشعر مدى قيمتهم ، وتركهم بهذه السهولة .

وقت الظهيرة يقترب والدهم في أحر من الجمر أولاده لم يذهبوا إلى المدرسة كانت لحظات عصيبة . كيف يدع الرجل زوجته تذهب بهذه السهولة وتخرج من المنزل فكر بإعادتها لكن كبريائه يمنعانه من ذلك .

الأولاد يلحون عليه .لمقابلة أمهم .

نزل على رأيهم ، كانت الرغبة شديدة لديه بالذهاب معهم .

اقتربوا من منزل الزوجة طرقوا الباب . سمعت الدق في الباب .

خفق قلبها سريعاً ، انتابها شعور غريب هرعت من مكانها . فتحت الباب سريعاً . أحست بالفرحة تسري في جسدها احتضنت أبنائها قبلتهم بحرارة .

رفعت رأسها صوب الأب، تفحصته بنظرات انفرجت شفتاهما بابتسامة بطيئة تبعث الطمأنينة، وتنم عن إدراك، وتنسجم مع الوجهين الذين امتلأ عينيهما بالحب.

الحيرة

شمس الأصيل ترسل أشعتها متعامدة فوق رؤوس المارة حركة دائبة أناس يبتاعون بضاعة قديمة معلقة فوق أبواب الدكاكين والأرصفة . آخرون في الداخل لديهم بضائع جديدة آخرون يتراصون على مستوى الرصيف سيارة لندروفر مقفص تجتاز التقاطع زجاجها مغلق من جميع الجهات تقتادها امرأة ذو شعر أشقر داكن تنحت جانباً توقفت فجأة ، ثم أدمجت رأسها فوق المقود ويديها متشبثة به ، لم تكن تتحرك قيد أنملة ، كانت فاقدة الوعي .

تجمع المارة حول السيارة ، ينظرون إليها دقوا زجاج السيارة ، لم تجب ولم يرى لها حراكاً .

قال : أحدهم هذه أجنبية علينا كسر الزجاج لرؤية ماذا حدث لها ؟

قال: أخر هذه أجنبية وامرأة ولا يصح أن نكسر زجاج السيارة فتشوا حول السيارة لعلنا نهتدي لمدخل كانت الأبواب مغلقة بالأمان .

تجمع آخرون يلبسون ملابس أنيقة تلفونات حديثة يتصلون بها ومنادين للجموع عدم التعرض للسيارة بأي سوء ، وأن ما بداخلها أجنبية وإذا تم كسرها ستكون جناية .

قال أخر يجب أبلاغ الشرطة ،أبلغت أتت على الفور .

قال أحد الجنود إياكم أن تحاولوا فك السيارة بأي شيء أو كسر الزجاج لأن المرأة التي بالداخل أجنبية ومحاولة إنقاذها سيدخل ضمن الجنايات الدولية وقد يتهمونا بمحاولة اختطافها أو أي سبب آخر.

قال: أخر لماذا لا نكسر الزجاج ونسعفها .

أحد المارة إلى أين نسعفها هذه تعودت على عناية طبية ممتازة وإذا أدخلناها المستشفى قد يعالجونها بالخطأ مما يؤدي إلى وفاتها.

قال : أخر إذا نتصل بالسفارة وهي التي ستتولى إسعافها .

أخر : أي سفارة هل تعلمون جنسيتها ؟ لا .

قال : شخص يبدوا من هيئتها أنها أمريكية .

أخر : لا بريطانية .

احتار الجميع في كيفية الدخول إليها ومعرفة جنسيتها وما هو الحل لإسعافها . استفاقت المرأة من الغيبوبة فتحت زر الأمان عرفت بجنسيتها وتم إبلاغ سفارتها لإسعافها.

مخالب الأنثى ..

خطوات بطيئة تدل على ثقة بأن أحداً لن يؤذيها فهي المدللة في المنزل تقدم هو فاتحاً باب غرفته ناداها وهي في الطارود دلفت إلى الداخل أغلق الباب جيداً نظر لأجواء الغرفة وجد جميع الشبابيك مغلقة إلا واحدة قام بإغلاقها ، كانت الغرفة واسعة بها اثنين أسرة وحقائب ملابس ، دولاب واسع يضع فيه ملابسه وبمناداته لها استجابت لأنها اعتادت الدخول للغرفة مع أي فرد من أفراد الأسرة كونهم يطعموها معهم ، كانت في أغلب الأحيان تنام مع طفلته الصغيرة حيث تغسلها بالماء والصابون تنشف شعرها ، تمرر المشط على أجزاء جسمها تقدم لها أفضل المأكولات ، تنام معها في سرير واحد .

كانت العلاقة بينهما غير قوية ، وبإغلاقه لكل شبابيك الغرفة أي لم يدع فراغ لخروجها منه مما جعل شكوكها تدور لماذا أغلق الباب مع الشبابيك ؟ ماذا يريد ؟

تسمرت في مكانها . تقدم هو نحوها وكأن الأمر طبيعي بالنسبة له قدمت يدها اليمنى ، أخرت رجليها نشبت أظافرها من بين شعرها ، كشرت بأنيابها ..... نحوه.

تفاجأ من وقوفها أمامه على هذا النحو ، أخذ ينظر إليها بذهول تقدم خطوة . زادت أكثر تأهباً للانقضاض عليه .

تسرب الخوف إلى قلبه .

بدأ يخفق أوصاله ترتعد ، كان مذهولاً .

أيعقل أن تقف أمامي هكذا وهي التي كانت بالأمس تتدلل علي وتتمسح بجسمها إذعاناً لي .

ما الذي حدث لها ؟ ترى ما الذي ستفعله بي ؟

رفعت شفتها بانت أسنانها بيضاء ركزت شعيرات شاربها صارت كالمسامير ، أخذت تقيس بهما الاتجاه الذي ستنقض بهما على الرجل .

رجع للخلف قليلاً استل عصاً معكوفه كانت معلقة على جدار الغرفة امسك برأسها تقدم نحوها ملوحاً بالهواء يريد ضربها .

تراجعت بحذر بعيون زرقاء تنطق بالشرر .

لكزها بالعصا محاولاً إبعادها ، ركضت في الطرف الآخر محاولة الهرب منه كانت المنافذ مغلقة الباب موصد تماماً ، الشبابيك مغلقة ، لم تجد مهرب سوى دخولها تحت السرير .

لحق بها اتكأ فوق ركبته ، يده اليسرى ممسكة بالسرير والأخرى ممسكة بالعصى لكزها بالرأس أحست بالألم أطلقت فحيحها ثم انطلقت متجهه نحوه ، تملصت بين رجليه تزحلقت فوق المشمع البلاستيكي المفروش على أرضية الغرفة تحمس أكثر شعر بالنشوة لهروبها من أمامه كان يريد إخضاعها حتى تصبح أكثر هدوء ، لم يعرف كل منهما ما الذي يريده من الأخر سوى الدفاع عن النفس وإن أدى إلى موت أحدهم هي لم تستسلم سوف تدافع عن نفسها بكل قوة ، رغم محاولتها مداراته بعدم المواجهة إلا أنه أصر على ملاحقتها وقفت أمامه رافعه رأسها بعيون بارقة وعلى أهبة الاستعداد للانقضاض عليه وقوفها في هذه الوضعية أربكه ازداد خوفاً اشتدت أعصابه ، لم يعد يعلم ماذا يريد منها ؟ سوى أنه ممسكاً بالعصا .

انطلقت نحوه تشبثت برقبته غرست مخالبها ، كادت تقضي عليه أمسك بها بفزع رماها أرضاً ، انطلقت مسرعة تتزحلق على الأرضية

جاعلة السرير ملاذاً لها لأخذ الأنفاس ومن ثم معاودة الانقضاض .

تراجع إلى الوراء ربض فوق السرير يلتقط أنفاسه لا يكاد يصدق ما يحدث أهذه القطة الوديعة التي ندللها جميعاً تتحول إلى هذه الوحشية أو لعلي كنت مبالغاً في إيذائها ولكن لماذا هذا الانقلاب المفاجئ .

لأني لم أطعمها وأسقيها لا ليس هذا .

أخذ يفكر في الخلاص من هذا المأزق .

قال : سأقوم بفتح أحد الشبابيك لعلها تخرج منها فتحها عاد للجلوس انطلقت هي مسرعة ودلفت من الشباك إلى الخارج أدرك أخيراً سبب وحشيتها .

رشفة مـــاء ..

غيوم ملبدة حجبت الشمس عن الظهور كانت تبعث في نفسي ألقاً وحيوية ولعل تلك الغيوم تنذر بقدوم الأمطار مما يجعلني أتمتع بهطوله ولكني أكثر سروراً باني مسافر.

وصلت فرزة البيجو تقدمت نحوها كانت مقدمة احد التكاسي ممتلئة بركاب ، كان الوسط فارغاً، قعدت على احدها جانب الباب، حضر راكب آخر قعد على الجانب الآخر وراء المقود والسائق.

شاب في العقد الثالث قصير القامة ، ممتلئ الجسم ذو لحية كثيفة ، يلبس بدله رمادية متناسقة مع المعطف والقميص، كان ممسكاً بحقيبة سوداء، ملامحه وجهه تدل على الوقار وبنظرتك إلية للوهلة الأولى يشعرك بالارتياح تجاهه .

تقدم نحونا فتحت الباب نزلت إلى الأرض رفعت الكرسي الذي كنت اجلس عليه حتى يستطيع الدخول

والجلوس ، ومما زاد احترامي له قال:لو سمحت أفسح قليلاً ، جلس على الكرسي، اقبل راكب آخر وجلس. في العقد الرابع حالق الذقن والشنب ، بوجهه حمرة شعر مائل للبياض.كان أيضاً ممسكاً حقيبة دبلوماسية،قعد بجانب الشاب، اقبل باعة متجولون ماء ،عصائر ، عطورات يعرضونها بإلحاح ، شحاذون مختلفون في الأعمار من الجنسين.

قالت إحداهن للشاب الذي بجانبي يا ولدي أعطني عشرة ريالات الله يحميك ويحمي أولادك ، كانت متلفعه بخمار مسدلة الستار فوق عينيها.

أخبرتها تقولين يا ابني وصوتك يدل على انك شابة أصغر منه سناً. ظلت تلح بالشحاته ملقية ما تحفظه ، رأت أن لا فائدة رفعت ستار الخمار مما جعلني أنذهل لملامح وجهها مابين البياض والسمرة ، ذات عيون سوداء دائرية تنطق منها الأنوثة ، قالت:عمري خمسة وعشرون سنة. ألحت بإعطائها نقود ناولتها خمسون ريال اقبل آخرون، تقدم راكب في العقد الخامس يلبس قميص

ومعوز يهاتف أصدقائه انه عائد لمدينته و زوجته وأولاده . كان من هيئته انه لم يتعدى سنه.

قال :هذه زوجتي قد أنجبت تسعة أولاد وست بنات وما تزال قادرة على الإنجاب .

تحركت السيارة مررنا بالمحطة لتعبئة البنزين فإذا بصوت من الخلف يتحدث بالهاتف بلغة قوقازية طال الحديث.

الشاب ذو اللحية الكثيفة يتحدث مع آخيه هل مازالت الخلاطة معطلة. نعم !! اتصل بحامد! فهو يعرف المهندس الذي قام بإصلاحه بالأمس من حامد ؟صاحب التكسي ذو أخلاق عالية فقد تعرفت علية بالأمس وقدمت له خدمة بمعرفة من سرق نقوده اتصل بهذا الرقم.....

احد الركاب يخبر السائق بإيصاله إلى إحدى القرى.قال السائق: سوف أوصلك إلى مفرق الطرق ولن أعطيك فلساً واحداً. لم ينبس الرجل أدار الحديث مع الشاب الذي بجانبه .

الرجلان اللذان في الخلف يتحدثان واتضح أنهما من مدينة واحدة اللذان في المقدمة يعملان في الجيش

وقد اتضحت ملامحهما بحلاقة رأسيهما وبشرتهما السمراء أنهما في حالة حرب قال أحدهم قبل أسبوع كنتُ مسافراً وكان التفتيش في النقطة دقيقاً فجأة أتت امرأة سمراء افريقية وتريد السفر إلى عدن وتخشى الإمساك بها لعدم وجود الإقامة أغرتني بالمال. انتحلت شخصية زوجها كانت متلفعة بالخمار والبالطوا والقفازات السوداء بيدها ولم يتعرف عليها احد حتى أوصلتها.

الرجل القادم من طاجستان يخبر المسن يا أخي اتصلت بزوجتي مبكراً فلم تجبني. وعندما رفعت السماعة عرفت صوتي وأغلقت السماعة.. ولا أدري لماذا! تعاملني بهذه الجفوة. ومنذ عام رفضت العودة معي وإنها تفضل البقاء هنا.

برغم معاملتي لها بلطف وعدم جرح مشاعرها.

كم لك متزوج؟ ست سنوات: هل لديك منها أطفال؟ نعم طفل واحد.. ،

بل رفضت السفر معي ظليت أتردد عليها كل ستة أشهر. تصور يا رجل أنها رفضت الاقتراب مني على الفراش ودائماً عبوسه.

الشاب :هذا يبدو دخلها مس. سوف اتصل بصديقي فهو يستطيع معرفة تصرفاتها معك .

أدار أرقام الهاتف. لدينا صديق هنا دفع خمسة آلاف ريال. ويريد معرفة سبب تصرفات زوجته ونفورها منه. أجابه الآخر بأنه سيتصل بعد ثلاث ساعات حتى يأتيه باليقين.

الرجل: أثناء ما كنت أ تصل ولم ترفع السماعة اتصلت بتلفون الجيران : دعوا زوجتي ترفع السماعة. رفعتها بتثاقل بالحديث، قلت أنا قادم إليك. أغلقت السماعة على الفور الشاب :هل حدثت هذه التصرفات من قبل ،لم تحدث وإنما حدثت فجأة منذ فترة وجيزة.

هل تغيبت عنها كثيراً ؟ ستة أشهر فقط.

إذاً فهذا هو السبب.فالمرأة لا تتحمل غياب زوجها عنها أكثر من شهر واحد

هل زوجتك لها علاقات خارجية مع الجيران مثلاً؟ نعم!

هاا إذاً هذا هو السبب فقد يكون جارك على علاقة بها.

تفاجأ الرجل احمرت أوداجه نشف ريقه، تناول قنينة الماء، شرب. لأن الخبر نزل عليه كالصاعقة قال: الآن تذكرت عندما اتصلت قلت له نادي على زوجتي برفع السماعة قال: لا داعي ناولها السماعة !ترى هل يكون الرجل على علاقة بها ؟ الشاب: نعم! فهو السبب لا حول ولا قوة إلا بالله النساء النساء وما أدراك ما النساء أمسك الرجل برأسه شرب رشفة ماء.

هل تقصد انه قد عمل علاقة معها؟ نعم! وقد يكون مارس الجنس معها، لم تعد بحاجة إليك. والآن احذر منها فإذا ذهبت إلى البيت قد تدس السم لك أو تقوم بقتلك وعندما تصل خليك طبيعي كأنك لا تعلم شيئاً. وإذا قدمت لك الطعام دعها تذهب وأرميه في الزبالة،عندما تذهب إلى النوم لا تمارس الجنس معها فقد تنقلك العدوى بأي مرض إنا لله وإنا إليه راجعون ما هذا؟ ما لذي يحدث؟ الشاب :هل أزعجتك بكلامي لا.. لا بل أرحتني.

اشرب قليل من ا لماء حتى تهدأ.

الشاب:هذا الرجل أين يعمل؟ في مركز مرموق .. أووه هذه مصيبة اكبر. لماذا؟ إذا حاولت الإفصاح له عما يدور في خلدك قد يضعك في السجن.ولكن احذر منه لا تصطدم معه بأي حديث ، خبئ نقودك وجواز سفرك لدى من تثق بهم لا تثق بزوجتك. يا أخي طلقها.ولا تدعها تعيش معك لأنها خائنة الرجل: وكيف عرفت إنها خائنة ؟ أو يا أخي أنت مسكين لا تدعها تعيش معك لأنها خائنة فقد تقتلك أو تدس السم لك في الماء أو الآكل أو تلقي بك في السجن، وتخفي ابنك.

ولكنهما يستغلانك حتى تدر عليهما النقود.

الشاب ذو اللحية الكثيفة: زوجتك طاجيه ؟نعم.

إذاً لا تطلقها هنا اسحب جواز سفرها واذهب به إلى القسم واشرح لهم قضيتك، ثم اسحب جواز سفرها بغرض معاملة ما لا تسحبه أنت بل عن طريق أقاربها من تثق بهم هي ولا تخبره بخيانتها فقد يقوم ضدك. ثم قلها لن يعيدوا الجواز إلا في المطار بحيث تضعها في الأمر الواقع ولن تجد مخرج سوى السفر معك ولن تستطيع

إخفاء ابنك وبعد وصولك للخارج طلقها ولا تدع احد يتدخل بينكم من أهلها لأنها خائنة ولا تستحق العيش معها.

ما هذا ؟ ما للذي يحدث ؟ما لذي صار بالنساء؟

يا صديقي يبدو أن السكر مرتفع معك!

الرجل:لا لقد أرحتني بكلامك أنت الآن أنقذتني من ورطة. لا تخف فانا سأقف بجانبك وان كان سيكلفك بعض النقود ولكن احذر ممارسة الجنس معها.

لا لن اقترب منها.

الشاب :هل زوجتك جميلة ؟نعم على قدر من الجمال أوه هذا الذي جعل الرجل يفتتن بها وعندما نصل سآتي معك إلى المنزل لاختبر سلوكها..

صدر للكاتب

الأسلاك الشائكة قصص

الأرض والسلاح قصص

طبع بمطابع دار الكاتب العربي بمصر
رقم الإيداع ٢٠٠٠/٤٣٧٩